

## حفظ القرآن عن طريق الصدور

د. سيد سعيد الله

الاستاذ بقسم الاسلاميات جامعة بشاور

**بعث الانبياء:** خلق الله تعالى الانسان ليعبده، و خلق فيه غريزة للتقرب اليه بالعبودية والتعرض للثواب بالطاعة، ولما كان عقل الانسان و غريزته، غير قادرين على التوجيه الصحيح للخير بعث اليهم الانبياء من اول خلق آدم حتى يبينوا لهم الحق من الباطل و تكون لهم فيهم اسوة حسنة في طرق الحياة كلها .

و كما اندرست تعاليم نبي او حرفت بحيث لم يبق منها الا القليل النادر ارسل الله اليهم رسولا ليخرجهم من الظلمات الى النور، كما اقتضت حكمة الله تعالى ان لا يعذب اناسا على اقترافهم المعاصي الا بعد ارسال المهادي مبشرا و نذيرا . قال الله تعالى : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا(١) . ”وان من امة الا خلافيها نذير(٢)“، وما كان ربك سهلك القرى حتى يبعث في اسمها رسولا يتلو عليهم آياتنا(٣)“، ”رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل(٤)“ .

واستمرت سلسلة بعث الرسل، و بذلك تمت حجة الله على الناس الى ان من الله تعالى عليهم بان بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فحتم به سلسلة ارسال الرسل، وانزل عليه الكتاب فاكمل لهم به دينهم واتم به نعمته عليهم ورضى لهم الاسلام دينا .

**حفظ القرآن :** و قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصر كان العقل البشرى قد وصل الى اعلى درجات الفهم، فاقتضى ذلك ان يكون هو النبي الخاتم، و قدر الله تعالى لهذا الاقتضاء ان يكون هذا الدستور دستورا كاملا في نواحي الحياة كلها . ولذا فلم يوجد ولن يوجد ذورأى يستطيع ان يأتي بدستور اعلى منه او مساويا له، كما قال الله تعالى : ”وانه لكتاب عزيز. لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد،(٥) وان يكون هذا الدستور الذى انزل عليه محفوظا من كل تحريف او تبديل ليكون دستورا للناس كافة، تكفل الله تعالى بحفظ كتابه المجيد من الالندراس والتغيير والتحريف، و ذلك لقوله تعالى : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون،(٦) .

كما تكفل الله تعالى بشرح هذا الدستور قائلا: ان علينا جمعه و قرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه .(٧)

### اتخاذ الوسائل لحفظ القرآن عن طريق الصدور

**اولا —** جعل القرآن محفوظا في صدر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى : ان علينا جمعه و قرآنه، و قال تبارك و تعالى : سنقرئك فلا تنسى،(٨) .

**ثانيا —** جعلت تلاوة ما نزل اليه من القرآن و تبليغه الى الناس فرضا من فرائض نبوته صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : ”و يتلو عليهم آياتنا،، ”يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته . وقال تعالى : اتل ما أوحى اليك من الكتاب(٩)،، . و قد بين البيضاوى في تفسيره الغرض من هذا الامر بقوله : تقربا الى الله بقراءته و تحفظا لا لفاظه (١٠)،، .

والحكمة في جعله تعالى تلاوة القرآن من موجبات نبوته صلى الله عليه وسلم ان يسمع الصحابة القرآن باللهجة التى كان يسمعها الرسول صلى الله عليه

وسلم بها من جبريل فيحفظوها، و يحفظوا نبراتهما، فان اللهجة والنبرات اذا تغيرت ربما تغيرت بها المعانى . فكان لازمالحفظ القرآن من التحريف ان تحفظ اللهجة ايضا .

**ثالثا : الاستماع والانصات عند قراءة القرآن:** امرت الامة بأن عليهم الاستماع والانصات كلما سمعوا القرآن يقرأ، كما قال الله تعالى : ”واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا“،(١١) وانما امروا به لان به يتمكن السامع من سماعه وفهمه فيسهل عليه حفظه .

**رابعا : حلاوة الاسلوب :** نزل القرآن باسلوب بديع معجز يلتذ به المتكلم والسامع اكثر مما يحصل الالتذاذ بالشعر، والكلام البليغ اذا ادى بصوت خلاب رائع يتضاعف اثره، ولذا امر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بالتغنى بالقرآن، حيث قال : ”ليس منا من لم يتغن بالقرآن“،(١٢) و قال : ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن“،(١٣) الحديث قال الخازن فى تفسيره : قوله : ”يتغنى بالقرآن“، أى يحسن صوته به، و يكون مع ذلك مع تحزين و ترقيق فى القراءة(١٤) .

و قد نزل بهذا الاسلوب لان الالتذاذ بكلام سوزون مقفى قد طبع عليه البشر، و هذا الالتذاذ يسهل على الانسان الحفظ والاتقان، فلا يتعب بكثرة الترديد والترجيع، بل كلما ازداد ترجييعه ازداد الكلام حلاوة و طلاوة، وازداد شوق القارئ والمستمع اليه .

و كان العرب فى القديم اذا نبغ فى قبيلة من قبائلهم شاعر افتخرت به فينشدون شعره فى المجتمعات متلذذين به و يحفظونه و يروونه ابا عن جد(١٥) . ولكن لما كان للكلام الموزون المقفى فى كل قوم رسم مختلف و مذهب متباين بحيث لا يلتذ قوم بما يلتذ به آخرون، لذلك لم يجعل اسلوب القرآن مقيدا بالاوزان

والقوافي التي راعاها شعراء العرب، والتي يلتذ بها العرب فقط، لان الله تعالى ما نزل القرآن لتمهيد العرب فحسب، ولا اوجب حفظه واتقانه عليهم فقط وانما نزله لتمهيد النوع البشرى كله، واوجب حفظه واتقانه عليهم جميعهم عربهم وعجمهم.

قال الشاه ولي الله رحمه الله تعالى في الباب الثالث من الفوز الكبير في بيان بديع اسلوب القرآن: قد جرت سنة الله عزو جل في اكثر السور بتقسيمها الى الآيات كما كانوا يقسمون القصائد الى الايات، غاية الامر ان بين الآيات والايات فرقا، كل منهما ينشد للتذاد نفس المتكلم والسامع، الا ان الآيات مقيدة بالعروض والقافية التي دونها الخليل بن أحمد وحفظها الشعراء. وبناء الآيات على وزن وقافية اجماليين يشبهان امرا طبيعيا، لا على افاعيل العروضيين و تفاعيلهم وقوافيهم المعينة التي هي امر صناعي واصطلاحي (١٦).

و قال بعد ما ذكر رسوم الاقوام و مذاهبهم المختلفة في هذا الالتذاد: لما اراد حضرة الخلاق ان يكلم الانسان الذي هو قبضة من التراب نظر الى ذلك الحسن الاجمالي، لا الى قوالب مستحسنة عند قوم دون قوم، ولما اراد مالك الملك ان يتكلم على منهج الادميين ضبط ذلك الاصل البسيط، لا هذه القوانين المتغيرة بتغير الادوار والاطوار. و سنشأ التمسك بالقوانين المصطلح عليها هو العجز والجهل، و تحصيل الحسن الاجمالي بلا توسط تلك القواعد بحيث لا يفوت في الاغوار والانجاد من البيان شيء ولا يضح في كل سهل و جبل من الكلام معجز و مفحم. (١٧)

و قد كان المشركون يعترفون بحلاوة اسلوبه البديع المعجز كما قال الوليد بن المغيرة لابي جهل بعد ما سمع القرآن من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ورق له: فوالله ما فيكم رجل اعلم بالاشعار مني ولا اعلم برجزه ولا بقصيدته مني ولا باشعار الجن، والله ما يشه الذي يقوله شيئا من هذا، والله ان لقوله الذي

يقوله حلاوة، وان عليه لطلاوة، وانه لمثمر أعلاه معدق اسفله، وانه ليعلو وما  
يعلى، وانه ليحطم ماتحته،،(١٨).

(يتبع)

## المراجع

- (١) بنى اسرائيل ١٧ : ١٥
- (٢) فاطر ٣٥ : ٢٤
- (٣) القصص : ٢٨ - ٥٩
- (٤) النساء : ٤ - ١٦٥
- (٥) حم السجد، ٤١ : ٤١، ٤٢
- (٦) الحجر ١٥ : ٩
- (٧) القيامة ٧٥ : ١٧ - ١٩
- (٨) الاعلى ٧٨ : ٦
- (٩) العنكبوت ٢٩ : ٤٥
- (١٠) تفسير البيضاوى، ص ٥٣. المطبعة العثمانية
- (١١) الاعراف ٧ : ٢٠٤
- (١٢) التشيرى : الجامع الصحيح
- (١٣) ابو داؤد السجستاني : السنن ج ١ : ٦
- (١٤) الخازن : لباى التاويل ج ١ : ٦
- (١٥) جرجى زيدان : تاريخ اللغة العربية ج ١ : ٩٠
- (١٦) الفوز الكبير، الباب الثالث ص ٣٨ المطبعة السلفية لاهور
- (١٧) الفوز الكبير : ٣٨
- (١٨) البيهقى، دلائل النبوة ١ : ٤٤٦